١

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار التقنية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة
طبقات الناس في كلام الأئمة

سماحة
الشيخ محمد آل حيدر
-٢٠٢٥-

طبقات الناس في كلام الأئمة (عليهم السلام)

تعريف بالبحث:

يتناول هذا التقرير خلاصة محاضرة سماحة الشيخ محمد آل حيدر في مركز مدرك للتنمية والدارسات الاسلامية التي عرضت تقسيمات الناس في ضوء روايات أهل البيت (عليهم السلام)، مع تحليل للروايات الواردة عن الأئمة وبيان دلالاتها العقديّة والتربويّة. ويستعرض التقرير البنية الثلاثية التي تُقدّمها النصوص في تصنيف الناس، ثم ينتقل إلى بيان طبقات الشيعة أنفسهم، مع معالجة مفاهيم الوعي والالتزام والكمال، إضافةً إلى تسليط الضوء على آفاتٍ سلوكية حذّر منها الأئمة، مثل الإذاعة وطلب الرئاسة. ويهدف التقرير إلى تقديم قراءة معرفية واضحة لمحتوى المحاضرة عبر تنظيم الأفكار وإبراز الدلالات الأساسية، بما يعين القارئ على فهم الموضوع بدقة.

طبقات الناس في كلام الأئمة (عليهم السلام)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: عَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ولَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ"[1].

الحقيقة إنّ مراجعة الروايات تظهر روايات شبيهة تكاد تكون شرحاً واضحاً لهذه الرواية: بأنّ «العالِم الربّاني» هو الإمام (عليه السلام)، وأنّ «المتعلّم على سبيل النجاة» هم الشيعة بكل طبقاتهم، من الفقهاء إلى العوام. أمّا «الهَمَج الرعاع» فهم غير الشيعة.

ومثال ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنَّ النَّاس آلوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إلى ثلاثة: آلوا إلى عالم على هدى من الله قد أغناه الله بما علم عن علم غيره وجاهل مدع للعلم لا علم له معجب بما عنده، قد فتنته الدنيا وفتن غيره ومتعلم من عالم على سبيل هدى من الله ونجاة ثم هلك من ادعى وخاب من افترى»[2]:

١- عالمٌ هادٍ من الله قد أغناه الله بما علّمه عن علم غيره؛ وهذا هو الإمام الذي علّمه الله تعالى.

٢- جاهلٌ مُدَّعٍ للعلم لا علم له، معجب بما عنده، قد فتنته الدنيا وفتن غيره؛ وهذا هو الصنف الثالث.

٣- ومتعلّمٌ على سبيل هدى من الله؛ أي المتعلم من الأئمة (عليهم السلام) على هدى ونجاة. ثم قال: «هلك من ادّعى، وخابَ من افترى».

وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام): «يغدو الناس ثلاثة أصناف: عالم، ومتعلم، وغثاء». ثم قال: «نحن العلماء، وشيعتنا المتعلمون، وسائر الناس همج»[3].

فالتقسيم الثلاثي – إذن – هو: الإمام، فالشيعة، فغير الشيعة.

---

[1] - عيون الحكم والمواعظ: ٦٤، لعلي بن محمد الليثي الواسطي.
[2] - الكافي: ١ / ٣٢.
[3] - وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٨/٢٧.

ورواية الإمام الحسين (عليه السلام) تُفصّل هذا المعنى: فعن سعيد بن المسيب قال سمعت علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: إن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أخبرني إن كنت عالما عن الناس وعن أشباه الناس وعن النسناس فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا حسين أجب الرجل فقال الحسين (عليه السلام): أما قولك أخبرني عن الناس فنحن الناس ولذلك قال الله تبارك وتعالى ذكره في كتابه: (ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ النَّاسُ) فرسول الله الذي أفاض بالناس. وأما قولك أشباه الناس فهم شيعتنا وهم موالينا وهم منا ولذلك قال إبراهيم (صلى الله عليه): (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي). وأما قولك النسناس فهم السواد[٤] الأعظم وأشار بيده إلى جماعة الناس ثم قال: (إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً)[٥].

وهكذا نجد في روايات الأئمة (عليهم السلام) تكريساً للتقسيم الثلاثي.

حتى في التقسيم القومي والعرقي، نجد مفهوماً خاصاً عند أهل البيت (عليهم السلام)، غير المفهوم الظاهر:

عن أبي الحسن موسى الكاظم (عليه السلام) قال: «الناس ثلاثة عربي ومولى، وعلج، فأما العرب فنحن، وأما المولى فمن والانا، وأما العلج[٦] فمن تبرأ منا وناصبنا»[٧].

وعن ضريس بن عبد الملك، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «نحن قريش، وشيعتنا العرب[٨]، وعدوّنا العجم»[٩].

---

[٤] - قال الفيروزآبادي: السواد من الناس عامتهم.
[٥] - بحار الأنوار العلامة المجلسي الجزء: ٢٤ صفحة: ٩٥
[٦] - بيان: في النهاية: " العلج " الرجل من كفار العجم وغيرهم. بحار الأنوار العلامة المجلسي ج: ٦٤ ص: ١٧٦
[٧] - بحار الأنوار العلامة المجلسي ج: ٦٤ ص: ١٧٦
[٨] - قال المجلسي: بيان: "وشيعتنا العرب "أي العرب الممدوح من كان من شيعتنا، وإن كان عجما، والعجم المذموم من كان عدونا، وإن كان عربا. بحار الأنوار العلامة المجلسي ج: ٦٤ ص: ١٧٦
[٩] - بحار الأنوار العلامة المجلسي ج: ٦٤ ص: ١٧٦

وعن عمرو بن سعيد بن خثيم، عن أخيه معمر، عن محمد بن علي الجواد (عليه السلام) قال: «نحن العرب، وشيعتنا منا، وسائر الناس همج أو هبج، قال: قلت: وما الهمج[١٠]؟ قال: الذباب، فقلت: وما الهبج؟ قال: البق»[١١].

وهذا التقسيم – كما يظهر من الروايات – ليس عنصرية، بل تقسيمٌ عقديٌّ مبني على الولاء والبراءة.

ثم تأتي رواية الإمام السجاد (عليه السلام) التي تقسم أهل زمانه إلى ستة طبقات: الناس في زماننا على ست طبقات: أسد، وذئب، وثعلب، وكلب، وخنزير، وشاة: فأما الأسد فملوك الدنيا يحب كل واحد منهم أن يغلب ولا يغلب،

وأما الذئب فتجاركم يذمون إذا اشتروا ويمدحون إذا باعوا،

وأما الثعلب فهؤلاء الذين يأكلون بأديانهم ولا يكون في قلوبهم ما يصفون بألسنتهم، وأما الكلب يهر على الناس بلسانه ويكرمه الناس من شر لسانه،

وأما الخنزير فهؤلاء المخنثون وأشباههم لا يدعون إلى فاحشة إلا أجابوا،

وأما الشاة فالمؤمنون، الذين تجز شعورهم ويؤكل لحومهم ويكسر عظمهم،

فكيف تصنع الشاة بين أسد وذئب وثعلب وكلب وخنزير؟

فهذه التقسيمات كلها تؤكّد أن:

القسم الأول: الأئمة.

القسم الثاني: المتعلمون على سبيل النجاة (الشيعة).

القسم الثالث: الهَمَج (غير الشيعة).

---

[١٠] - قال المجلسي: بيان: في القاموس: " الهمج " محركة ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم، والحمير، و " الهبج " بهذا المعنى لم أجده في كتب اللغة قال في القاموس: " الهبج " محركة كالورم في ضرع الناقة.

[١١] - بحار الأنوار العلامة المجلسي ج: ٦٤ ص: ١٧٦

تقسيم الشيعة أنفسهم

المتعلمون على سبيل النجاة – أي نحن – ينقسمون إلى ثلاثة:

١- فاسق

٢- ملتزم

٣- كامل

أولاً: الفاسق

ومعياره: الرجاء. فالفاسق إما:

١- أن يرجو المغفرة ويعمل لها؛ فهذا يُرجى له الخير.

٢- أو يرجو المغفرة بلا عمل؛ وهذا رجاء كاذب.

٣- أو لا يرجو أصلاً؛ وهو آيس من روح الله، والعياذ بالله.

وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لزياد بن أبيه: «أتَرْجو أن يُؤتيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين؟!»[١٢].

وقال الإمام الباقر (عليه السلام): «إيّاك والرجاء الكاذب، فإنه يوقعك في الخوف الصادق»[١٣].

وعن ابن أبي نجران، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت، فقال: «هؤلاء قوم يترجّحون[١٤] في الأماني، كذبوا، ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه»[١٥].

---

[١٢] - نهج البلاغة ج: ١ - ص: ٢٥٦

[١٣] - تحف العقول ٦٩.

[١٤] - رجح الميزان: يرجح رجحاناً أي مال، وترجحت الارجوحة بالغلام أي مالت (الصحاح - رجح - ١: ٣٦٤)

[١٥] - وسائل الشيعة الشيخ حرّ العاملي ج: ١٥ - ص: ٢١٦

ثانياً: الملتزم، ومعياره: الوعي.

فليس كل ملتزم واعياً؛ إذ قد يكون كما الإمام الصادق (عليه السلام) - لرجلٍ من أصحابه -: «لا تكونن إمعة[١٦]، تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»[١٧].

الملتزم الواعي هو من يعرف مصادر معرفته، ولا يأخذ دينه من مواقع التواصل أو من كتب المخالفين أو من أفواه الناس، بل من الثابت المحقق عن أهل البيت وعلمائهم.

وقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من أخذ دينه من أفواه الرجال أزالته الرجال، ومن أخذ دينه من الكتاب والسنّة زالت الجبال ولم يزل»[١٨].

ثالثاً: الكامل

وهو الملتزم الواعي إذا استعمل وعيه استعمالاً صحيحاً.

وقد قالَ الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): «الْكَمَالُ كُلُّ الْكَمَالِ: التَّفَقُّهُ فِي الدِّينِ، والصَّبْرُ عَلَى النَّائِبَةِ، وتَقْدِيرُ الْمَعِيشَةِ»[١٩].

معرفة الزمان

من أهم صفات الملتزم الواعي والكامل معرفة الزمان وأهله.

قال الصادق (عليه السلام): «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[٢٠].

وقال علي (عليه السلام): «حسبُ المرء من عرفانه علمُه بزمانه»[٢١].

---

[١٦] - قال الجزري في النهاية " فيه: اغد عالما أو متعلما ولا تكن إمعة " الإمعة - بكسر الهمزة وتشديد الميم -: الذي لا رأي له فهو يتابع كل أحد على رأيه، والهاء فيه للمبالغة، ويقال فيه إمع أيضا، ولا يقال للمرأة إمعة.. وقيل: هو الذي يقول لكل أحد: أنا معك، ومنه حديث ابن مسعود: "لا يكونن أحدكم إمعة، قيل: وما الإمعة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس".

[١٧] - معاني الاخبار: ص٢٦٦، ح١.

[١٨] - وسائل الشيعة: ح٢٢، الباب ١٠، من أبواب صفات القاضي.

[١٩] - الكافي: ١ / ٣٢

[٢٠] - الكافي:٢٧/١، الحديث ٢٩

[٢١] - غرر الحكم: ٣٢٥٢.

ومن وثق بالزمان غُلب، فالزمان غدّار، كما ورد عنه (عليه السلام): «من وثق بالزمان صرع»[٢٢].

وقال (عليه السلام): «من أمن الزمان خانه، ومن أعظمه أهانه»[٢٣].

اختلاف الشيعة – رواية الإمام العسكري (عليه السلام)

سُئل الإمام الحسن العسكري (عليه السلام): ما سبب اختلاف الشيعة[٢٤]؟ فقال: «إنما خاطب الله العاقل... والناس في علي طبقات». ثم ذكر ثلاث طبقات:

١- مستبصرٌ على سبيل نجاة متمسك بالحق، متعلق بفرع الأصل، غير شاك ولا مرتاب.

٢- طبقة لم تأخذ الحق من أهله؛ فهم كراكب البحر يموج مع الموج ويسكن مع السكون.

٣- طبقة استحوذ عليها الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق حسداً.

ثم قال: «فدع من ذهب يميناً وشمالاً».

تحذيران مهمّان جداً

الأئمة (عليهم السلام) شدّدوا على أمرين:

١- اجتناب الإذاعة: أي إفشاء أسرار أهل البيت بلا تقية، وإثارة الفتن.

٢- اجتناب طلب الرئاسة: ولو بأدنى درجاتها.

قال (عليه السلام): «هما يدعوان إلى الهلكة».

---

[٢٢] - عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢ / ٥٤ / ٢٠٤.

[٢٣] - غرر الحكم: ٨٠٢٨.

[٢٤] - الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) سؤال بعض عن اختلاف الشيعة -: إنما خاطب الله العاقل، والناس في علي طبقات: المستبصر على سبيل نجاة، متمسك بالحق، متعلق بفرع الأصل، غير شاك ولا مرتاب، لا يجد عني ملجأ. وطبقة لم تأخذ الحق من أهله، فهم كراكب البحر يموج عند موجه ويسكن عند سكونه. وطبقة استحوذ عليهم الشيطان، شأنهم الرد على أهل الحق ودفع الحق بالباطل، حسدا من عند أنفسهم. فدع من ذهب يمينا وشمالا، فإن الراعي إذا أراد أن يجمع غنمه جمعها بأهون سعي، وإياك والإذاعة وطلب الرئاسة، فإنهما يدعوان إلى الهلكة. تحف العقول: ٣٢٣.

خاتمة التقسيم

إذن الناس:

عالم رباني (الإمام)

متعَلّم على سبيل نجاة (الشيعي)

همج رعاع (غير الشيعي)

والمتعلم على سبيل النجاة على ثلاثة: فاسق، ومُلتزم، وكامل.

محاسبة النفس

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيّئاً استغفر الله»[٢٥].

تنبيه على العرفان الباطل

ليست ذاتُ الله تُدرَك ولا تُعرَف، ولا عرف اللهَ أحدٌ على الحقيقة.

والمدّعون للاتحاد أو الحلول – كالحلاج وابن عربي وأمثالهم – على ضلال مبين.

نصائح لطالب العلم

أهم ما يحفظ الطالب على طريقه:

١- وجود هدف واضح.

٢- إتقان المقدمات إتقاناً تاماً.

٣- المطالعة المنتظمة.

٤- معرفة الزمان.

٥- الاستشارة.

٦- النية لله تعالى.

[٢٥] - وسائل الشيعة ٩٥/١٦، الباب ٩٦ من جهاد النفس، الحديث ١

نجاة غير الشيعة

طريقهم الوحيد إلى النجاة: الدخول في ولاية أهل البيت (عليهم السلام).

والله سبحانه أعلم، وهو أرحم الراحمين، وله الحكم يوم القيامة.